العَدَالَةُ فِي الخِطَابِ الحُسَيْنِيْ

(يُوتُوبِيَا مُجتَمَع مُتَخَيِّلْ)

تَحْلِيْلٌ سُوسْيُوثقافِيْ

Justice in Al-Hussein Discourse: Utopia of aContemplative Society

(Sociocultural Explication)

م.د. طالِبُ عَبدالرِضَا كِيْطَانْ

جامعة القادسية . كلية الآداب

قسم الاجتماع

Lacturar. Dr. Talib A. Gitan

Department of Sociology

College of Arts

Al-Qadisiya University

A.K_talib@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

... ملخص البحث ...

الخطاب الحسيني كان يحمل وما يزال أبعاداً اجتماعية،وإنسانية، ودينية، واقتصادية، وفكرية ويحمل دلالة وعمقاً كبيرين، فهو يخاطب أمة متهالكة على الاستسلام والخنوع للحاكم الظالم.

هذا الخطاب كانت كلماته حاضراً مادياً ومستقبلاً منظوراً، وبعداً تاريخياً اولد الحادثة وقد مضى، وحاضراً يستعيدها بشخوصها ومواقفها. وكان الباحث في موضوع بحثه يسعى إلى أن يرسم صورة العدالة الانسانية في مجتمعه وفق الخطاب الحسيني وتوظيفه لحل الصراعات الفكرية المنحرفة في عراق اليوم من أجل أن يرسم صورة ليوتوبيا العدالة لتكون عنوان هوية الانتماء للوطن مع الحفاظ على الانتماءات المذهبية الأخرى، وجعل الانتماء للوطن واقعاً يعلو على كل الانتماءات من طريق ثقافة السلم الاجتماعي التي تبلورت أفكارها وأهدافها في الخطاب الحسيني.

ABSTRACT

Such a discourse takes hold of words with moment to moment visions, future scopes, a historical extent begetting the past and the present reviving it with its figures and incidents. The research, here, endeavours to portray his society in line with the Husseinist discourse and employs it to unknot the derailing intellectual conflicts in Iraq today. As such he exploits the justice utopia to the identity of the land in regard to other denominations and elevates the loyalty to the land into the peerage via the culture of the social peace that finds existence in the Husseinist discourse.

... المقدمة ...

إن النظام الإسلامي مر بتجربة من أروع تجارب النظم الاجتماعية وأنجحها، ثم عصفت به العواصف بعد أن خلا الميدان من القادة المبدئيين، وبقيت التجربة تحت رحمة أناس لم ينضج الإسلام في نفوسهم، ولم يملأ أرواحهم ظروفه وجوهره، فتقوض الكيان الإسلامي وبقي نظامهُ فكرة في ذهن الأمة الإسلامية، وعقيدة في قلوب المسلمين،وأملاً يسعى الى تحقيقه دعاة الحق والمجاهدون.

في الوقت الذي ظهر حكم بني أمية الإسلام بمظهر الحكم الطاغوتي وحاول أن يشوه منهج محمد ﷺ، وقد فعلوا الأفاعيل ضد الإسلام وارتكبوا ما لم يرتكبه جنكيز خان في العراق وايران، وحاولوا طمس معالم الدين وتشويه صورته الناصعة، فقادتهم كانوا يشربون الخمر ويؤمون المصلين في الصلاة، وكانت مجالسهم من مجالس اللهو والطرب وتمارس فيها كل الانحرافات الخلقية، ثم تقام بعدهُ صلاة الجماعة، فيتقدمون لإمامة تلك الجماعة، ويرتقون منبر الخطابة، فقد كان التلون والازدواجية من سمات شخصياتهم.

وقد وصلت حالة الأمة في حكم معاوية وابنه يزيد إلى حالة من الفوضى والانحطاط الأخلاقي والظلم وكانت خرقاً واضحاً وتمرداً على شروط الحاكم ومواصفاته التي وضعها الإمام علي عليه السلام وهي مواصفات ومحددات علمية لمن يمسك زمام السلطة خشية من عواقب انحرافها ولا سيما الحرية السياسية وسبل التعبير عن الرأي انطلاقاً من الشريعة الإسلامية، فقد قال في أهمية الوطن «**ليس بلدُ بأحقِ بك من بلدِ، خيرُ البلاد ما حملكَ**»[1]. فكل بلد هو وطن لكل فرد، ينبغي

أن يعمل لإنعاشه، وتحقيق العدالة فيه، وليس خير البلاد وأفضلها بلداً ولدت فيه، وضم أجدادك وآباءك بل أفضلها ما يقدم لك أسباب الحياة من العيش والأمن والحرية والكرامة.

كل هذه الأسباب والدوافع التي كتب الباحثون والمفكرون عنها مئات الكتب والأبحاث دعت الى أن ينهض رجل عظيم تغذى من عصارة الوحي الإلهي وتربى في أحضان سيد الرسل محمد المصطفى ﷺ، وسيد الأولياء علي المرتضى عليه السلام، وترعرع في أحضان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فانتفض ثائراً ليصنع بتضحيته الفذة ونهضته الإهية أكبر ملحمة جهادية في التاريخ منطلقاً من عدالة صحيحة يجب أن يكون عليها وضع الأمة.

ولا يخفي على أحد ما كان للخطاب الحسيني من صدارة في سجل الحركات الإصلاحية، وللنهضة الحسينية من مكانة عند الثائرين، فهي من أعظم الحركات التي عرفها التاريخ الإنساني على الإطلاق وذلك لأنها اشتملت على كل المبادئ والقيم الإنسانية وتجسدت فيها أجمل صور الشجاعة والصبر و أروعها.

لقد افهمنا سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه،أن على الأحرار أن لا يخافوا في مواجهة حكومة الجور والظلم، وكان يأمل من الناس وهو يخاطبهم ليذكرهم بقيمة الحرية والعدالة، وهكذا هو الأمر اليوم في بلدنا فإن الخطاب الحسيني قد حدد تكليفنا وواجبنا الشرعي والأخلاقي والوطني فكلما عظم هدف الإنسان وسمت غايته كان عليه أن يتحمل المشاق أكثر بنفس النسبة، فنحن ربما لم ندرك بعدُ جيداً حجم الانتصار الذي حققناه، وسيدرك العالم فيما بعد عظمة النصر الذي حققهُ الشعب العراقي.

ولا بد أن نقف عند نقطة جوهرية أن التنوع في الفهم الخاص بالخطاب الحسيني وحركته وثورته المباركة وبعدها اليوتوبي، وما أنتج عن ذلك من تراث فكري تحول الى عقيدة ومنهج للثائرين أفرز واقعاً إسلامياً أصيلاً وهم الثلة القليلة، وآخر واقعاً إسلامياً متلوناً ودخيلاً امتدت جذورهُ الى يومنا هذا.

إن هذا البحث هو من البحوث التحليلية الذي احتوى على سبعة مباحث وعدد من المطالب وكان يناقش موضوعات ذات دلالة اجتماعية ثقافية – إنسانية تهدف في أبعادها مدلولات امتدت من عام (٦١هـ) او قبل ذلك بعشر سنوات الى يومنا هذا تحمل ما تحملُ من تراث فكري عظيم أصبح عقيدة ومنهجاً للثائرين.

المبحث الأول

التراث النظري للدراسة

المطلب الأول

موضوع الدراسة

لو أخذنا البعد الأخلاقي والاجتماعي للخطاب الحسيني والذي كانت لغته متجددة عبر هذه المدة الطويلة من الزمن، وثقافته ومفرداته التي تواكب وتحاور ثقافة اليوم بكل أبعادها، لا بل هي أبهى صور يوتوبيا التعايش والتسامح مع الآخر بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه.

ولكن المشكلة في الموضوع أن الإمام الحسين عليه السلام كان يحاور الآخر ويدعوه بمخيلته وثقافته التي تعلمها من مدرسة جدهِ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وهي ثقافة قليل من يتعامل بها في عصر تمادت فيه الأنساب والألقاب على الثوابت والقيم الأخلاقية، وأصبح التعدي على حقوق الآخر وانتهاكات حرماته مظهراً من مظاهر التفاخر والشهرة، وللأسف كانت توجد لهذه المظاهر قاعدة اجتماعية واسعة ربما يسيطر عليها دافع الخوف من السلطان، وأحياناً أخرى تسيطر ثقافة التلون، او الثنائية الثقافية كما يسميها علي الوردي على العامة من الناس أو أفراد الحاشية والمقربين خوفاً على منزلتهم الوظيفية والاجتماعية، ومن ثم فإن المجتمع المتخيل في آنذاك يعترف بأهداف الإمام الحسين عليه السلام وبشخصه المقدس وهو أبنُ من؟ وجدّه من؟ كل تلك الاعترافات كانت ظاهرية شكلية يحددها المكان والزمان (أي الموقف)،

ومن ثم كان المجتمع يتفق على أن الأمام الحسين عليه السلام كانت أهدافه التي اتصفت بها نهضته المباركة أهدافاً إصلاحية تهدف أول الأمر إلى حفظ الدين ورسالته السامية والى بناء الإنسان وحفظ حقوقه الإنسانية، وقد عرفها الإمام عليه السلام بأنها الإصلاح وذلك ببيانه الذي أذاعه على أصحابه قائلاً: ((**وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ولكن خرجت في طلب الإصلاح في امة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي**)).

ولننعم النظر بعمق كيف كان الأمام الحسين عليه السلام يخاطب مجتمع زمانه في خطبته الاولى ونقف عند حيثيات تلك الافكار الاصلاحية التي تهدف الى بناء الانسان لأنهُ صيرورة عظمى خلقت في أحسن تقويم وأفضل صورة، فكان الامام الحسين عليه السلام يقول في خطبته الاولى ((**الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم، يحوطونهُ ما درّت معائشهم فإذا مُحِصوا بالبلاء قلَ الديانون**))، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال: ((**أما بعد ... فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت، وأدبر معروفها، ولم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنهُ، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما**))[٢].

وبتحليل متواضع نجد أن الخطاب الحسيني له دلالة وعمقاً كبيران وهو كان يخاطب أمة عاكفة على الاستسلام والخنوع للحاكم الظالم، وهذه الكلمات كأنها حاضر مادي ومستقبل منظور يستميح الزمن عذراً أن يجعل أحد أبعاده تتراوح بين زمن أولد الحادثة وقد مضى وزمن يستعيدها بشخوصها ومواقفها.

المطلب الثاني

... أهمية البحث ...

١. تكمن أهمية البحث في أن الثورة الحسينية وأهدافها كانت تحمل ابعاداً اجتماعية وانسانية ودينية وسياسية واقتصادية وفكرية، وهي تدعو المجتمع التضحوي، المجتمع الانساني الى التحرر والبناء وفق النظرية الاسلامية.

٢. دخلت الثورة الحسينية في غوامض النفس الانسانية وحققت طموحاتها التي لم تحققها الحركات الإصلاحية الأخرى وانتصر الدم على السيف الذي لا يعرف إلا لغة العنف والوحشية ويتجرد عن أي مفهوم للإنسانية والتحاور مع الآخر.

٣. للمعاني السامية والموضوعية أهمية في الخطاب الحسيني تضمنتها رسالته التي وجهها الى بني هاشم حينما خرج من مكة متوجهاً نحو العراق، وبكل شفافية وصراحة قال عليه السلام ((**من الحسين بن علي بن أبي طالب الى بني هاشم، أما بعدُ ... فإنهُ من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح**))[٣].

٤. تكوين ثقافة اجتماعية دينية مؤثرة في نمو الإدراك الصحيح والمسلك السليم في ظل ما نواجههُ من حرب مدمرة تحاول استهداف مكامن القوة الفكرية والمادية في مجتمعنا. لأن فهم الظروف الموضوعية التي عاصرها الإمام الحسين عليه السلام إبان حركته وما جرى بعده من إحداث تاريخية تجعلنا نفهم بوضوح السيرة المتعرجة بين الارتفاع والانخفاض في مستوى الشعائر وتأثيرها في الأحداث، وكيف أثر الصراع السياسي للحكومات التي تلت شهادة الإمام الحسين عليه السلام ومحاولة إخضاع أتباع آل البيت عليهم السلام ومعاملتهم بأقصى العقوبات من أجل تركهم المنهج او الخطاب.

المطلب الثالث

... أهداف البحث ...

١. ترجمة الخطاب الحسيني إلى واقع عمل من طريق استحقاق العدالة الإنسانية في مجالات الحياة اليومية.

٢. محاولة التثقف بالخطاب الحسيني في تعاملنا مع أفراد أسرتنا ومع الآخر في مجالات اعمالنا المختلفة.

٣. منح الأسس الفكرية الصحيحة للشباب من خلال الخطاب الحسيني لرسم صورة أجمل ليوتيوبيا العدالة.

٤. بناء الإنسان ومحاورة الآخر بغض النظر عن قوميته، وجنسه ولونه وموقعه وفق نظرية الخطاب الحسيني.

٥. أن يكون الخطاب بين العمامة والأفندي خطاباً حسينياً بناءً توحدهُ العدالة، وينبذ ثقافة تسقيط الآخر.

٦. توحيد هوية الانتماء مع الحفاظ على الانتماءات المذهبية الاخرى، وجعل الانتماء للعراق واقعاً يعلو على كل الانتماءات بإشاعة ثقافة السلم الاجتماعي التي تبلورت أفكارها وأهدافها في الخطاب الحسيني.

المطلب الرابع

من خلال مجموعة من الأهداف يضع الباحث تساؤلات البحث على النحو الآتي:

١. ما مستوى منهج العدالة الإنسانية في مجتمعنا وفق مبادئ نظرية الخطاب الحسيني؟

٢. ما صورة التعامل مع أفراد أسرتنا والآخرين وفق نظرية الخطاب الحسيني؟

٣. كيفية وضع الأسس الفكرية الصحيحة للشباب من خلال الخطاب الحسيني لرسم أجمل صورة ليوتوبيا العدالة؟

٤. ما مستوى الخطاب بين العمامة والأفندي وفق نظرية الخطاب الحسيني؟

٥. ما مدى تأثير الخطاب الحسيني على بناء الإنسان بغض النظر عن قوميته، وجنسه ولونه،وموقعه؟

٦. كيف نوحد هوية الانتماء مع الحفاظ على الانتماءات المذهبية الأخرى، وجعل الانتماء للعراق واقعاً يعلو على كل الانتماءات باتباع ثقافة السلم الاجتماعي التي تبلورت أفكارها وأهدافها في الخطاب الحسيني.

المبحث الثاني

... مفهومات البحث ...

المطلب الأول

... الإمام الحسين عليه السلام ...

في حقيقة الأمر لا يريد الباحث أن يحدد شخصية الإمام الحسين عليه السلام في هذه السطور وهو عليه السلام لا يحتاج إلى تعريف ولكن المنطق العلمي يتطلب منا تقديم بعض المفهومات للتعريف، فالحسين عليه السلام نشأ في أحضان طاهرة وحجور طيبة ومباركة أماً وأباً وجداً، فتغذى من صافي معين جدهَ المصطفى صلى الله عليه وآله وعظيم خلقه ووابل عطفه، وحظي بوافر حنانه ورعايته حتى إنه ورثه أدبه وهديه وسؤددهُ وشجاعته، مما أهلهللإمامة الكبرى التي كانت تنتظره بعد إمامة أبيه المرتضى وأخيه المجتبى عليهما السلام وقد صرح بإمامته للمسلمين في أكثر من موقف بقوله صلى الله عليه وآله: ((**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**))[٤]. فهو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام الهاشمي القريشي، ثالث الأئمة الاثني عشر، وخامس أصحاب الكساء، وخامس المعصومين الأربعة عشر.

ألقابهُ: سيد الشهداء، ثار الله، الوتر الموتور، أبو الأحرار سيد شباب أهل الجنة.

كنيتهُ: أبو عبد الله، سبط رسول الله.

ولادته: كانت ولادته عليه السلام بعد عشية يوم الخميس ليلة الجمعة من شهر شعبان من السنة الرابعة الموافق ٩/ ١/ ٦٢٦م، بحسب ما توصل اليه المحقق العلامة الشيخ محمد صادق الكرباتسي، لكن المشهور هو أن ولادته في الثالث من شهر شعبان من تلك السنة في المدينة المنورة، وكان مدة عمره (٥٦) عاماً وخمسة أشهر وخمسة أيام، ومدة إمامته كانت عشرة أعوام وعشرة أشهر وأياماً، وذلك من شهر صفر (٥٠) هجرية وحتى اليوم العاشر من شهر محرم (٦١) هجرية[٥].

نقش خاتمه: إن الله بالغ أمره.

زوجاته: شاه زنان بنت يزدجرد ملك ايران، وهي أم السجاد عليه السلام، وهي أميرة فارسية، وليلى بنت عروة ابن مسعود الثقفي، وهي أم علي الأكبر، والرباب بنت أمريء القيس بن عدي، وهي أم سكينة، وعلي الأصغر المشهور بعبد الله الرضيع، وأم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله، وهي أم فاطمة، ولهُ ستة أولاد: أربعة من الذكور وبنتان، فأما الإناث فهُن سكينة وفاطمة، وأما الذكور فهم علي الأكبر، وعلي الأصغر، وجعفر الذي مات في حياة أبيه، وجميع الذكور قتلوا في واقعة الطف باستثناء زين العابدين وهو العقب من الذكور، فجميع الحسنين على وجه الأرض من ابن واحد وهو علي بن الحسين[٦].

صفاته في واقعة كربلاء: برزت مجموعة من الصفات من أبي عبد الله الحسين عليه السلام هي: الشجاعة البدنية، قوة القلب والشجاعة الروحية (المعنوية) الإيمان الكامل بالله وبالنبي والإسلام، الصبر والتحمل العجيبان والرضا والتسليم، والمحافظة على التعادل وموازنة الحركة والمواقف، وعدم بروز اي موقف متسرع منه أو من أصحابه، والكرم والنبل والسماحة والتضحية والفداء والإيثار.

المطلب الثاني

... الخطاب الحسيني ...

عندما توجه الإمام الحسين عليه السلام من مكة الى الكوفة في اليوم الثامن من ذي الحجة ومعهُ أهل بيته، وقد سبقه ابن عمه مسلم بن عقيل الذي اخبره بإجماع الناس في الكوفة على بيعته والدفاع عنهُ، ويبدو أن الأمور بدأت تتغير في الكوفة واتجاهات الناس أخذت تضعف نحو تأييد الإمام عليه السلام وليس هي كما نقلها مسلم بن عقيل للإمام الحسين عليه السلام[٧].

فالذين رحبوا بمقدم الحسين عليه السلام والدفاع عنه هم الذين كتبوا الى يزيد يخبرونهُ بأن النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة ضعيف ولا قدرة لديه في مواجهة المواقف ويطالبون بعزله، كما أخبره بأن الناس يجتمعون حول مسلم بن عقيل رسول الامام الحسين بن علي عليه السلام وفي نيتهم تولي الامام الحسين عليه السلام والياً عليهم، لذلك طلبوا عزل النعمان وسرعان ما استجاب يزيد لهذا الطلب ووقع اختياره على عبيد الله بن زياد ليكون والياً على الكوفة الذي دخلها متنكراً وألقى خطبته المشهورة بـ (البتراء)[٨] في مسجد الكوفة والتي توعد وهدد فيها كل من يخالف أمره إذ قال في مقدمتها: ((**يا أهل الكوفة، اني والله لأحمل الشر بحمله، وأحذوهُ بنعله، وأجزيه بمثله، واني لأرى أبصاراً طامعة وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحان قطفها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء يسن العمائم واللحى تترقرق...**)) الى آخر الخطبة، حيث استعمل أساليب مختلفة لتغيير أفكار أهل الكوفة وصرفهم عن بيعة الأمام الحسين بالتهديد حيناً وبالترغيب والخداع حيناً آخر، حتى وصل بهم الحال إذ أصبحوا يقولون مالنا والدخول بين السلاطين[٩].

وقد دخل الإمام عليه السلام وهو لا يعلم ما جرى في الكوفة حتى لقي هلال بن نافع، وعمرو بن خالد فأخبراه بمقتل مسلم، وهاني وانقلاب الناس في هذه المدينة، وقد أجابا حين سألهما عن حال الناس بقولهما: «أما الأغنياء فقلوبهم مع بن زياد، وأما باقي الناس فقلوبهم اليك»، وقيل إنهم «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»[١٠].

وحقيقة الأمر وقف الحسين عليه السلام متفكراً في هذه التحولات السريعة وفي انقلاب نوايا الناس وما الخطاب الذي يخاطبهم به، وكيف يواجه هذه التحديات الخطيرة التي تواجه مسيرته عليه السلام ثم يتخذ قراره الحاسم بأن ما حدث هو تحول خطير في الكوفة وكل ما حصل فيها لا يمكن أن يثنيه عن إكمال مسيرته وما بدأ به لأنهُ يسير الى مسير وعدهُ الله به ورسوله صلى الله عليه وآله، ويواصل رسالته التي خرج من اجلها وإكمال فصولها الى ان يصل الى المكان الموعود الى موضع يقال لهُ (ذو الحسم)، وفي هذا الموقع يلتقي الامام الحسين عليه السلام بالحر بن يزيد الرياحي ومعهُ ألف فارس أرسلهم عبيد الله بن زياد لملاقاة الإمام الحسين عليه السلام وتحدث معه الإمام الحسين عليه السلام وبعدها أمر الحر بأن يسقى أصحاب الحسين عليه السلام الماء وعند الظهيرة أذن مؤذن الامام الحسين عليه السلام ثم صلى الإمام بالطرفين ولما فرغ الإمام من الصلاة اتكأ على سيفه وألقى خطابه الأول في مرحلة السير، وبعد أن حمد الله تبارك وتعالى ألقى خطاباً بأسلوب بسيط وسهل التعبير وواضح الدلالة حيث قال عليه السلام ((**أيها الناس إنها معذرة الى الله عز وجل وإليكم إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم، أن أقدم علينا فإنهُ ليس لدينا أمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك جئتكم وإن لم تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم الى المكان الذي أقبلت منهُ إليكم**))[١١]. وقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام في هذا الخطاب أسلوب الشرط وترك لهم اختيار أحد الامرين وهو «إن كنتم على ما ورد في كتبكم وعلى لسان

رسلكم وأعطيتموني ما يثق به قلبي دخلت معكم، وإن كرهتم قدومي وتغيرت أفكاركم أنصرف إلى المكان الذي أقبلتُ منهُ» وكان الامام عليه السلام في كل مكان يؤم الناس ويخاطبهم مبيناً في ذلك أهداف نهضته إلى أن يصل إلى مكان يقال لهُ «عذيب الهجانات» وفيه يلتقي الطرماح بن عدي ومعهُ رجال حيث يخبرونهُ بمقتل رسوله الى الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي الذي قبض عليه الحصين بن نمير وسلمهُ الى عبيد الله بن زياد ليضرب عنقهُ، ويقف الامام عليه السلام ويسترجع كثيراً ويترحم على شهداء المسيرة الحسينية، ثم يواصل مسيره فيجتاز الركب منطقة تسمى «أقساس مالك» ثم «الرهيمة» ويصل الى قصر بني مقاتل ويلتقي هناك بعبيد الله بن الحر الجعفي وهو من فرسان العرب ويدعوه الإمام عليه السلام إلى نصرته فلم يستجب الى دعوته وعرض عليه أن يعطيه فرسهُ وهي من الجياد الفريدة، فيرد عليه الإمام الحسين عليه السلام ((**إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا بفرسك**))[١٢].

وهنا لا بد من وقفه مع المفكر الدانماركي kierke geared (١٨١٣ – ١٨٥٥) حيث يقول لا يستطيع المجتمع المؤلف من فئات مختلفة أن يقرر بالإجماع معاني الخلق والحياة والإنسان فإنهُ غير قادر كذلك على أن يقرر بالإجماع وباتفاق الآراء ما يجب أن نعرفه عن الذنب، واليأس، والخلاص، والوحدة الموحشة المريرة، فلا يقدم اللجوء الى الذات عن هذه الخطوط عوناً حقيقياً، ما عدا ذلك الشخص الذي يغمر في نفسه، في ذاته بأسلوب لا يحطم ولا يقضي على عناصر المعنى الشخصي والقيمة يكون في مركز يخوله أن يجد أجوبة عن أسئلة تتضمن المعنى[١٣].

المطلب الثالث

... اليـــــــــــوتوبيا ...

يسود الفهم والاعتقاد بأن أصل كلمة يوتوبيا يعود الى الفيلسوف الإغريقي أفلاطون، ولكن ما هو مؤكد وثابت أن الكاتب توماس مور هو أول من استخدم مصطلح يوتوبيا الذي ورد عام ١٥١٥م، في تسمية روايته المتعلقة بالجزيرة الخيالية، وتشير دلالة مصطلح يوتوبيا utopia الى العديد من المفاهيم والمعاني المتعلقة بأحكام القيمة المطلقة والنسبية، ويشير المعنى العام الى اليوتوبيا باعتبارها الحالة الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها الوضع السائد حالياً[١٤].

ارتبطت اليوتوبيا بحركة الفكر الإنساني، وتعد اليوتوبيا النموذج الأمثل الذي تسعى الإنسانية الى تحقيقه،فقد حاول الكثير من الفلاسفة والمفكرين على مر التاريخ أن يبنوا يوتوبيات فلسفية وفكرية ودينية واقتصادية، ويمكن تقسيم هذه اليوتوبيات الى:

١. **يوتوبيا الفلسفة**: تقوم على الافتراض الفلسفي الذي يستند إلى حركة الذهن التجريبية في بناء النماذج الافتراضية، ومن أبرزها: جمهورية افلاطون، دولة المدينة لأرسطو، والمدينة الفاضلة للفارابي.

٢. **يوتوبيا الدين**: تقوم على الربط بين الوسيلة والغاية، بحيث تكون طاعة الدين هي الوسيلة الالهية الخالية، وتمثل فكرة (الجنة) اليوتوبيا الدينية التي يسعى الوصول اليها كل المتدينين في هذا العالم.

٣. **اليوتوبيا الأيديولوجية**: تقوم على الربط بين الوسيلة والغاية ولكن بشكل مادي ومن أبرزها (المجتمع الشيوعي) الذي بشرت به الأيديولوجية الليبرالية.

وعموماً فإن اليوتوبيات ليس حكراً على اليهودية، أو المسيحية، أو الإسلام، فهناك أكثر من (١٠٠) كتاب مقدس في العالم، وكل كتاب من هذه الكتب يبشر أتباعه (بجنة خاصة) ويخيرهم بين حياة الشقاء وحياة النعيم، ومن هذه الكتب، كتاب الفيدا الهندوسي، والأفيست االزرادشتي، وغيرها الكثير[١٥].

المطلب الرابع

المجتمع المتخيـــــــــل

حلم الإنسان بعالم يسوده العدل والمساواة وتتركز فيه قيم الخير والحرية وتعطى فيه الحقوق لأصحابها، وتنقشع فيه سحابة الظلم وتزول منهُ بعض من أشكال الحيف، هو حلم مشروع وتجربة يتوق إليها كل كائن بشري، مثال تطمح إليه كل طبقة ناشئة، ولكن قد يتحول الى نوع من الخيال العلمي ويصطدم بواقع مرير وبوضع تاريخي صعب.

التخيل: هو الابتكار، وذلك بالانفصال عن الواقعي سواء بالزعم أو بالكذب، أو بالقص والحكاية الروائية عنهُ[١٦]. وأما العلاقة بين المتخيل والرمزي هي علاقة غامضة وملتبسة وتتراوح بين السيطرة والتقاطع[١٧].

إذن ينبغي للمتخيل أن يستخدم الرمزي من أجل التعبير عن وجوده، كما إن الرمزية تفترض القدرة التخيلية[١٨]. ويتجلى مفهوم المتخيل لدى نجيب محفوظ أنهُ شكل قاعدة ثورية واستعارية رمزية وتخيلية، حيث ضمت بين صفوفها معاني عدة تؤمن بالتأويل، والتحويل، منحت للمتخيل تماسكه الداخلي الذي أهلهُ للسيطرة والتوظيف والتوليد[١٩].

المبحث الثالث

مفهوم التسامح في نظرية الخطاب الحسيني

قال أمير المؤمنين عليه السلام ((**من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانهِ، ومُعلم نفسه ومؤدبها، أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم**))[٢٠].

وهكذا حين تتعارض الأمزجة والأذواق، وتشتبك الأحاسيس بين الإقبال والإدبار، والانشراح والنفرة يكون العفو والتسامح لا بد منهُ، لأن طريق الحياة فيه مضايق لا يفسح فيها إلا الأخلاق الطيبة ومنها التسامح والصبر والعفو وكظم الغيظ، وفي آفاق الحياة رياح غبراء لا يقشعها إلا الأخلاق الفاضلة ومنها السماحة والتسامح، والعفو، والصفح الجميل.

إننا نعيش في عصر تندمج فيه جميع البلدان في محيط متعدد الثقافات نتيجة للتداخل المتسارع للاقتصاديات، وظهور وسائل الاتصال الحديثة وثورة المعلومات، وفي الوقت الذي يخيل الينا أن العالم يتجه نحو التقارب، تبرز بوضوح العديد من التناقضات والاختلافات القومية والأثنية والدينية والعنصرية، ولا تقتصر اهمية التسامح على المستوى العالمي فحسب، بل تمتد كذلك لتشمل العلاقات بين الجماعات الثقافية المختلفة داخل الدولة الواحدة[٢١].

وعلى هذا المستوى القومي لن يستطيع المجتمع تحقيق تعايش وممارسة ديمقراطية سليمة وتفاعل خصب مع العالم إلا إذا سادته قيم التسامح، لذلك يضع

المجتمع العالمي في أجندته الاجتماعية قيوداً على تجاهل قيم التسامح على المستوى الوطني، لأن التسامح على المستوى المحلي والقومي هو الذي يتيح إمكانيات التعايش الفعال على المستوى العالي(٢٢).

لذلك كانت نظرية الخطاب الحسيني تحمل أهدافاً قيمة في طياتها كل أنواع ثقافة التسامح وفهم الآخر، وهي المدرسة التربوية الكبرى، والجامعة الأخلاقية العظمى للخلق الكريم، وكريم الأخلاق، وكل من أراد الاتصاف بالصفات الحسنة والسجايا الطيبة التي يحبها الله تعالى ويندب اليها الاسلام، ويحكم بحسنها العقل، مما تؤدي الى طيب الحياة والفوز بالنجاة، وتثمر شرف النفس، والضمير النفيس، وتوفر خير الدنيا وسعادة الآخرة.

الخطاب الحسيني كان دعوة لضم أهل الفرقة، أي جمع المنفصلين سواء بالأبدان، أو القلوب، والمستظهر هنا هم المتفرقون بقلوبهم، فمن حلية الصالحين وزينة المتقين التأليف بين أرباب القلوب المتناظرة وإيقاع المحبة بين الانفس المتباغضة وجعل القوم مجتمعين متحابين(٢٣).

ويفترض للتسامح الاجتماعي والثقافي أن هناك تنوعاً وتعدداً في المجتمع أياً كانت طبيعته(٢٤). إن هذا التنوع تتم ترجمته في صور وآراء وأفكار وممارسات مختلفة، ويكمن أساس هذه الفكرة في ارتباط النشأة التاريخية للتسامح بتعدد الفرق والطوائف الدينية والصراع فيما بينهم، ومحاولة إيجاد طريقة بمقتضاها تتمكن هذه الطوائف والشيع المختلفة والمتناحرة من التعايش معاً.

ويستند مبدأ التسامح الى أصلين أساسيين: **الأول**: معرفي، ويرتبط بالتسليم بنسبة المعرفة، والتسليم بأنهُ ما من أحد يحتكرها أو يمتلكها كاملة، وانطلاقاً من هذا التسليم يصبح حق الاختلاف بين الناس مقبولاً كونهُ لازمة تحددها طبيعة

العيش وتنوع المعارف وتداخلها وتعددها، واختلاف وسائلها وادواتها التي تتباين بتباين الحقيقة التي لا يحتكرها، ولا يعرفها طرف إلا بحدود النسبية القابلة للتغير والتطور، وهذه النسبية تقرن المعرفة باحترام العقل الذي لا يعرف لنفسه حداً، أو حقيقة نهائية في اكتشاف العالم، واحترام العلم الذي لا يكف عن التقدم، وتأكيد نسبيته المعرفة العقلية في الوقت نفسه[٢٥]. وهناك بعض المفاهيم ذات الصلة بمفهوم التسامح الذي يتداخل معها، والاختلاف حول معنى التسامح يمكن أن يفهم باعتباره صراعاً بين هذه المفاهيم، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد عدة مفاهيم للتسامح يمكن أن توجد في أي مجتمع منها:

التساهل pirmission

يذكر الريحاني، وإسحاق أديب أن التسامح هو التساهل، أي الاعتقاد بوجود ما يخالفك، وأما التسامح الديني، فيعني إجازة العقائد والطقوس الدينية التي تخالف العقائد والطقوس المألوفة، وهو الاعتبار والاحترام الواجب اظهارهما نحو المذاهب التي تمسك بها الآخرون، حتى ولو كانت هذه المذاهب مناقضة لمذاهبنا، والتساهل ينجم عن التعصب وهاتان الكلمتان ضدان، وهما يمثلان ثنائية متقابلة كالخير والشر، والعدل والظلم، فلولا أحدهما ما كان الآخر، فالتعصب يولد التساهل، والتساهل يولد السلام، والسلام يولد النجاح، والنجاح يولد السعادة[٢٦]. علاوةً عن مفاهيم اخرى كثيرة منها التعايش toexistence، والسلام الاجتماعي، وقبول الآخر the other reness، والاحترام والتقبل وغيرها الكثير.

لذا نستطيع القول إن التنوع يحتاج الى وجود قدر وافر من التسامح بين الفئات المختلفة، أي من القدرة على قبول الآخر برغم الاختلاف، وليس هنا التسامح الذي ينطوي على ضعف واستصغار الآخر، الذي يعد غير كافٍ لقيام علاقات تقوم على

التكافؤ والمساواة بين الشعوب والجماعات، فالآخر العرقي أو الثقافي، أو الاجتماعي ليس طرفاً ناقص الاهلية أو النضج لكي تتسامح معهُ، ومثل هذا النوع يقوم على ادعاء ضمني بالتفوق على الآخر.

من هذا يمكن القول بأن الخطاب الحسيني لبني أمية كان خطاباً يحمل الأهداف التي جاء بها جدهُ المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام، فالحسين عليه السلام لم يخرج على سلطان زمانه أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرج لطلب الإصلاح في دين جده محمد صلى الله عليه وآله، لذا ليس من المنطق أن يقابل الامام الحسين عليه السلام بثلة من المؤمنين غير متكافئة في عدتها وعددها وغير مهيئة مطلقاً للحرب، لذلك فالخطاب صريح وواضح يدعو الى وعي الأمة من غفلتها في أعمالها وأقوالها ويذكر بالقرآن من يخاف وعيده. بمعنى إن الخطاب الحسيني كان رحمة وسراجاً يضيء الطريق ورحمة للعالمين، وهو رحمة عامة لا تخص بفرقة او جماعة وإنما هي شاملة لكل العالمين، ومما لاشك فيه أنهُ حينما كانت الرحمة فلا كراهية ولا إكراه،على حين الرفق والعدل والعطف والرأفة والإحسان من لوازم الرحمة، فلماذا يتغافل عنها أولئك الذين يختصرون الإسلام بالقتل والموت وينصبون أنفسهم ناطقين باسم الله في الأرض من دون أن يتدبروا آيات الله ويفقهوا كتابه كتاب المحبة والرحمة[٢٧].

المبحث الرابع

هوية الانتماء وتقبل الآخر

اليوم ونحن نكابد جراح الوطنية إثر موجات الكوارث الداخلية من تقاتل وارهاب تشهدهُ الأرض العراقية على مدى سنين، وموجات خارجية شهدت تآمر المنطقة وتصدير قوافل من الإرهابيين عبر الحدود لحماية طائفة على حساب اخرى، هذه الموجات التي جعلت إنساننا ووطننا العراقي بأمس الحاجة لتحديد هذا الانتماء وترسيم مساحات هذا التجذر للهوية الوطنية على أرضية عقولنا ونفوسنا وفعلنا الحضاري، فالهوية العنوان الوجودي للأنا الوطنية لأن وعي الإنسان والانتماء والتجذر لا يتم إلا بالهوية ووضوحها وتماسكها وفاعليتها تستنتج صراعاً وفعلاً إنسانياً يستعصي على التشبث أو المصادرة،

إن من أخطر الأضرار التي أصابت كينونتنا العراقية طوال العقود الثمانية الماضية إنما تمثلت بالأضرار التي أصابت هويتنا سواءً في الوعي أو الاستحقاق أو الفاعلية، فنحر الانسان وتدمير المجتمع واستلاب الوطن ما هي إلا مظاهر الخلل البنيوي والتطبيقي لوعي الهوية الوطنية واستحقاقها وفعاليتها[٢٨]. فالهوية هي وجه الذات ومكنون الأنا المشكل لوجودك ووجودي ووجودنا وإن وعيها وتمكنها وفعلها هو الشخصية الخارجية المعاكسة لهذا الوجود الذاتي[٢٩].

إن الفعل التاريخي المتراص والمتواصل انتج الانتماء والتجذر التاريخي المتميز لصورة الصيرورة العراقية، فكيف لبعض العابثين والفاشلين أن يمحوا هوية

الانتماء الذي هو عصارة وجودنا التاريخي وفيه كل فعل يربطنا بالأرض ونتاجنا لبواكير الحضارة من خلال سلسلة من التضحيات والنشاطات الانسانية المتواصلة من الحقب السومرية والأكدية مروراً بالآشوريين والكلدانيين والعرب والاسلام الى يومنا هذا.

لذلك فعصر الانتماء وتجذر الهوية طويل، ولا يقترن بولادة العراق الحديث عام ١٩٢١ م على يد الإنكليز على أساس اننا كيان مصطنع لا جذور وانتماء وتمييز لهُ... وهل إسقاط بابل ونينوى وبغداد والكوفة والبصرة قديماً... وإسقاط نينوى والأنبار وصلاح الدين لمدة من الزمن... هو إسقاط محور التاريخ... أم هو إسقاط هوية ومحو كينونة، وما يزالون مستمرين محاولين وأد تجذر الهوية بقطع انتماء الوجود العراقي وانقطاعه التاريخي الضارب في أعماق التاريخ، والادعاء بحداثته وتلفيقه وشكله المقترن بإدارة أصوات خارجية وداخلية وهو مسخ لهويتنا وإنساننا[٣٠]. ولكي نحافظ على صدق الانتماء وعمق تجذر الهوية علينا أن نؤمن بأن الآخر حاجة كما تقتضي حكمة الخلق في الإنسان كي يسير باختياره نحو الخلود الأبدي في رحمة الهية غير متناهية تتناسب مع كرم الله تبارك وتعالى.

إن الاختلاف في الرؤية لا يمنع من تقبل الآخر وفتح الحوار معهُ واحترام حقوقه الإنسانية، ومهما بلغت درجة الاختلاف في الرأي، وحتى لو صدرت اتهامات وأصوات من هنا وهناك من المستضعفين، بل لا يصلح قطع الحوار حتى لو دقت اجراس الحرب وقُرعت طبولها، كما حصل في مدرسة الشهادة في كربلاء، حيث بقي الخطاب الحسيني فاعلاً متحاوراً الى آخر لحظات المعركة بل حتى في أوقاتها، فإن الإمام الحسين عليه السلام كان يرى الموعظة واجبة عليه لهؤلاء الذين قدموا على قتله وسبي عياله، حين قال عليه السلام في خطبته الأولى ((**ياأيها الناس اسمعوا قولي**

ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يحق لكم عليَ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد))[٣١].

إن هذا الكلام ليس عن ضعف، بل عن حكمة وفيه من مظاهر الإنسانية ما يعجز الكلام عن وصفه، والقلم عن بيانه، فيه بلاغة وحكم تصدر من القائد الملهم على قاتلهِ الجاهل المغرور العابد لأميره، كيف لا وهو ابن علي المرتضى القائد والمفكر والعالم في أغلب العلوم وهو مؤهل إلهياً، فهو يمتلك قوة استثنائية فهو لا يكذب ولا مُكذب لأن علمهُ موروث من علم النبي ﷺ، وعلم النبي ﷺ الذي هو من علم الله، وهذا الموقف فيه مشهد إنساني لا يتحمله الا نبي مرسل، وفيه مشهد آخر ينعى الإنسانية ويدين بشريعة الغاب، أما المشهد الأول، سيد من أسياد الانسانية يعترف لقاتله بأن له عليه حقاً انسانياً وهو اشادته وهدايته ووعظه،والمشهد الثاني قوم يأسرون قائدهم وابن نبيهم ويستبيحون كل حرمة له لأنهُ أراد إنقاذهم من براثن جلادهم، وآسر حريتهم، فأراد افتراش قلبه لهم ولمّ شملهم، ولكن أجابوه بفري أوداجه ورضّ أضلاعه بحوافر خيولهم وشتتوا شمله... إنهُ العجب[٣٢].

من هذه الثقافة الحسينية في طبيعة التعامل مع الآخر من دون التنازل عن كينونتي وإنسانيتي من الممكن أن أتعايش معه، قال الامام علي عليه السلام **((الناس أعداء ما جهلوا))** حيث المراد من فهم الآخر هو الأخذ بعين الاعتبار مشاعره ومزاياه الغالبة في شخصيته، فللطفل وضعه الخاص به الذي يختلف عما عليه الكبير، وطبائع المرأة وأحاسيسها تختلف عن طبائع الرجل.

وتنطبق حاجة التعايش لفهم الآخر على الجماعة، لأن الجماعة تختلف في عاداتها وتقاليدها، والمتعارف فيما بينها عن جماعة اخرى، فإن ثقافة المدينة تختلف عن ثقافة القرية، لذلك فإن الفرد في عيشه المشترك يتنازل في كثير من خصوصيته

وبالتدريج تصبح عادات المجتمع هي عاداته،إما للاضطرار الى ذلك وإما لإعجابه وارتياحه. ومن صور التعايش وتقبل الآخر والدفاع عنه في وقت المحن هو البعد الفكري والوطني الذي يترجم الدور البطولي لمقاتلي الحشد الشعبي الذين لبوا نداء المرجعية ودافعوا عن العراق، واخترقوا بل مزقوا الحدود الواهمة التي رسمها بعض المتخاذلين والتابعين لمخططات اقليمية ودول جوار لتزييف اللحمة العراقية وقتل الروح الوطنية بالفتنة الطائفية.

لقد تكونت منظومة الحشد الشعبي بناءً على أمر من المرجعية الدينية العليا في العراق بفتوى الجهاد الكفائي، وهذه المنظومة الجماهيرية تضم عناصر أغلبها مدربة على القتال ونزيهة يقتلون بروح العقيدة ويؤمنون بالروح الجهادية طالبين الشهادة أو النصر على جماعات قذرة تعيش لغير زمانها لا تتعايش مع الآخر، تحكمهم لغة الكهوف ويعيشون على دماء البشر، ويؤازرهم، ويساندهم، ويأويهم بعض المتآمرين من العراقيين مؤيدين طوعاً أو كرهاً، وبهذا التصور استطاع المقاتلون أن يحافظوا على هوية الانتماء وأن يتقبلوا الآخر ويحاوروه رغم كونهم كانوا ضيوفاً ثقلاء على بعض أصحاب النفوس المريضة رغم التضحيات التي قدموها، ويفندوا كل الأكاذيب والافتراءات وغيروا كل الصور التي صورها وغرسها العدو في أذهان الآخرين من هنا وهناك. لذلك فإن تعدد الآراء والاختلافات فيما بيننا هي من علامات السلامة في المجتمع، ومن علامات النجاح مادام الأمر محكوماًبالضوابط العقلية والشرعية وهذا مما يولد لنا اكتشاف الرأي الخفي الذي لم يكن بالحسبان، ومعرفة وجه القبح في بعض الاحتمالات بسبب كشف بعض الآراء له.

المبحث الخامس

الخطاب الحسيني واستقلال الشخصية الاسلامية وتبلورها

إن شهادة الامام الحسين عليه السلام لم تكن قصة أو واقعة كارثية انتهت بهدر دم شخصية من الشخصيات الاجتماعية ارتكبها عدد من الظالمين والجناة، ولو كانت هي كذلك، ربما ستكون واقعة يسجلها التاريخ فحسب وتنتهي.

إن الخطاب الحسيني والنهضة التي جاء بها واستشهد من أجلها أعطت للإسلام روحاً جديداً، إنها تعبير عن حركة الدماء وغليانها في الأبدان وخروج الأجسام من حالة الكسل الى عالم آخر مناهض تماماً عالم النشاط والفعالية وعدم السكوت على الظلم والقصاص على الظالمين، والحقيقة هناك عمليات كثيرة تستنزف فيها الدماء ولكن لا تحمل في أبعادها إلا بعداً واحداً هو بُعد النزيف الدموي ويخلف أثرهُ الرعب والخوف في نفوس الناس وإضفاء المزيد من الوحشية عليهم، وخنق الأنفاس في الصدور وسلب للقوة، في حين إن هناك عمليات استشهاد في الدنيا تخلف معها وتولد رونقاً من الضياء والصفاء للمجتمع.

وهذا ما حصل بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام، حيث انبعث الإسلام برونق جديد وأعيدت صياغة الشخصية للمجتمع الاسلامي، لأن السمات الدنيا في ظل انعدام الأمن تكون متهجمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف ودثارها السيف[٣٣].

لذلك بتقديرنا المتواضع إن الخطاب الحسيني كان خطاباً يوتوبياً في عدالته يسمو بقيمة الحرب في الحياة والمجتمع ويجعله هدفاً وغاية للرسالة الاسلامية ويريد به أن ينقذ الناس من النار الى دار القرار وينتشلهم من العبودية ويلحقهم بخيار الأحرار، وكان الإمام الحسين عليه السلام في خطبه للمجتمع الكوفي يحذرهم من ذوبان شخصياتهم في شخصية الحاكم، أو الآخر، ويحثهم على امتلاك الشخصية المستقلة.

وفي هذا المجال يذكر العلامة الدكتور مرتضى مطهري «إن الألمان قد اعترفوا بخسارة كل شيء في الحرب العالمية الثانية ما عدا شيء واحد تمسكوا به هو شخصيتهم المستقلة، ولما كنا والقول للألمان لم نفقد هذه الشخصية فإننا استطعنا الحصول على كل شيء مرة واحدة، وقد صدقوا بالفعل، ولكن لو حصل أن أمة ما ظلت تمتلك على كل شيء وخسرت شخصيتها فإنها لن تستطيع الحفاظ على كل شيء مما تمتلك وسيكون مصيرها الذوبان في الأمم الاخرى شاءت ذلك أم أبت»[٣٤].

كذلك الحال بالنسبة للهنود واليابانيين لم يستسلموا للعادات واللغات والحركات الأجنبية بقدر ما نحن نستسلم لها، وهذا (نهرو) الشخصية السياسية الكبيرة كان يجول العالم بلباسه الهندي إيماناً منهُ بأنهُ هندي ولا يمكن لطول اللباس أو قصره أو لون البشرة أن يؤثر في شخصية الانسان وهو تعلم الكثير من مدرسة الامام الحسين عليه السلام.

المبحث السادس

الخطاب الحسيني وأولوية عوامل النهضة وفاعليتها

يذكر الدكتور مرتضى مطهري بخصوص قول رسول الله ﷺ ((**لتأمرن بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو يسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم**)) رأياً للغزالي وهو رجل درويش (صوفي) لا يبرز اسمه في بحوث المسائل الاجتماعية وهو يرى غير ما يراه المفسرون الآخرون، إذ يقول في تفسيره اللطيف لهذه الرواية إن معنى الحديث «فيدعوخياركم فلا يُستجاب لهم ليس أنهم كلما يدعون الله لا يستجيب لهم، بل يفيد مع الرواية الشريفة هنا أنهُ عندما ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأنهم سيصبحون منحطين ومرعوبين وأذلاء وخنوعين الى درجة أنهم عندما يذهبون ليستجدوا الرحمة من الظالمين بالوقوف على أعتابهم، فإن هؤلاء الظلمة سوف لن يعيروهم أي اهتمام، وهذا يعني أن غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوف يفقدكم عزتكم واحترام الآخرين لكم»[٣٥].

وهذا ينسجم ويتناسب مع المبادئ المؤكدة التي على ضوئها تحرك الامام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة الى كربلاء حتى يبين للأمة مبادئ تحركه والتي استندت الى ثلاثة عوامل كما يراها الشهيد مرتضى مطهري[٣٦].

العامل الاول: نظراً لدعوة أهل الكوفة وارضية الانتصار والتأييد الذي وصل الى (٥٠٪) أو أقل بقليل ومن الرسائل التي تصل الى المدينة والتي يطلبون فيها

من الحسين بن علي عليهما السلام بتوليه أميراً عليهم، وكل تلك العوامل دفعت الامام عليه السلام بالتوجه الى كربلاء.

العامل الثاني: نظراً لأن السلطة طالبت الإمام الحسين عليه السلام بالبيعة فواجهها عليه السلام بالرفض والتحرك أي أنهُ لو كان سبب التحرك هذا وحده فإنه يمكن القول بأنهُ عدم مطالبة حكومة ذلك العصر بالبيعة من الحسين عليه السلام فإن ذلك يعني أنه عليه السلام لم يكن وراء الاصطدام بتلك الحكومة، ومن ثم فإن النظر الى حركة الامام عليه السلام من هذا العامل وحدهُ كان يكفي عدم مطالبة الامام عليه السلام بالبيعة حتى ينتفي التحرك الحسيني ويهدأ بال الحسين عليه السلام ولا يحصل كل ما حصل في التاريخ.

العامل الثالث: إن الامام الحسين عليه السلام كان يستند الى حديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله ((**من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل لعباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله** ...))، وكان الحسين في تحركه المناهض ليزيد مستنداً لقول المصطفى صلى الله عليه وآله الذي لا لبس فيه، وهو في ذلك رجل ثائر، ورجل ثورة ايجابي فاعل في الأحداث.

ومن اللافت للانتباه أن هذه العوامل الثلاثة لكل منها وظائف ومسؤوليات تعلو على العامل الآخر، فلو اخذنا بنظر الاعتبار دعوة أهل الكوفة لقدوم الحسين عليه السلام فقد رأينا أن قيمة تأثيره محدودة بحدود معينة، بينما لو نظرنا الى العامل الثاني وهو امتناع الامام الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد لرأينا أن قيمة الأثر عند الامام عليه السلام أكبر وأعظم من تأثير العامل الأول، وإذا ما أخذنا عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعين الاعتبار لوجدنا أن تأثيرهُ أكبر وأهم بعشرات المرات عن العاملين السابقين.

... الخاتمة ...

النتائج

كانت النهضة الحسينية والخطاب الذي خاطب به الإمام الحسين عليه السلام المجتمع الكوفي أحيط بهالة عظيمة وشعور بالتقديس وأصبحت النهضة معياراً لسائر الحركات الاخرى كونها حركة ما فوق المادة والطبيعة، لذلك كان الناس ينظرون اليها نظرة احترام وتقدير عالية، ومن الدراسة التحليلية للخطاب الحسيني للمجتمع المتخيل وهو المجتمع الكوفي نخرج بعدد من النتائج:

١. بني الخطاب الحسيني على أساس وجود أصل في الإسلام يتطلب منهُ عدم السكوت مقابل الظلم وانتشار الفساد وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.ونشهد اليوم المجتمعات الإسلامية والعربية ومنها العراق على وجه الخصوص يعيش ظواهر خطرة من التفرقة الطائفية والتصفية الجسدية وأصبح مسرحاً للإرهاب ولا يؤمن فيه الفرد على يومه، مما يجعلنا نقول إن الباحث لم يحقق أهدافه وتساؤلاته بخصوص الفقرات (١، ٦).

٢. أكثر من ثمانية عشر ألف كتاباً أو رسالة أرسلت من أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام ومبايعتهم لسفيره مسلم بن عقيل وتشوقهم لقدوم الإمام عليه السلام وهذا يعني أن مدينة الكوفة كانت ذات الثقل السياسي والفكري والتجاري مهيأة لمناصرة وموازرة الأمام الحسين عليه السلام ومبايعته.

٣. إن مبايعة الحسين عليه السلام ليزيد تعني إظفاء الشرعية على حكم يزيد الذي كان يساوي المصادقة على القضاء على الإسلام ومن ثم فإن الخطر موجه إلى الإسلام وليس لشخص الحسين عليه السلام.

٤. أفرز الخطاب الحسيني الذي خاطب به المستضعفين والمحرومين في مجتمع الكوفة وغيرهم أفرز مجموعة التساؤلات فيما إذا كان الدين المحمدي قوة أم ضعفاً، قيداً أم حرية، أفيوناً للشعوب أم قوة دافعة لها، ونعتقد أن مفهوم الحوار والتسامح تأخذ به أغلب الشعوب المحبة للسلام ومنهم شيعة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله. وقد يحقق الباحث تساؤلاته في الفقرات (٢، ٣، ٤) وخصوصاً هذا الطيف المذهبي في كل أرجاء المعمورة.

٥. أشارت الدراسات والبحوث حول الانتفاضة الحسينية أن الأمام الحسين عليه السلام كان يعرف بنتائج عمله، وكان من دوافع انتفاضته عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان يمارس منطق الثورة ومنطق الشهيد، وصاحب مشروع رسالة أراد أن يكتبها بحبر لا يجف أبداً وهو الدم. وتأكيداً لذاك ماذكرهُ ابن الأثير في كتابه الكامل الجزء الثالث الذي نقله الرياشي حيث يقول الأمام الحسين عليه السلام **((إن هؤلاء خانوني وهذه كتب أهل الكوفة وهم قاتلي، وإذا فعلوا ذلك ولم يدعوا لله محرماً إلا انتهكوه بعث الله اليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذل من فرار المرأة))**[٣٧]. كما قال لعمر بن سعد مخاطباً **((والله إن ملك الري لن يدوم لك، وإني لأرى فتيان الكوفة يروم الحجارة على رأسك كما يروم ثمار الشجرة بها))**.

٦. إن دعوة أهل الكوفة تأتي حجة تاريخية على الامام الحسين عليه السلام كون الكوفة كانت بمثابة معسكر للعالم الاسلامي والكتب التي وجهها اشراف الكوفة وزعماؤها كانت كتباً موثوقة لا غبار عليها، وكانت تنتهي هذه الرسائل

والكتب بعد شرح حال أهلها وشكواهم من الظلم والفساد وعلى لسان اشراف أهل الكوفة وزعمائها كانت تختم هذه الرسائل والكتب بعبارة «إنهُ ليس علينا أمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق»، ولذلك يكون الامام الحسين عليه السلام في هذا السياق يكون وضعه كوضع أبيه علي عليه السلام بعد مقتل عثمان إذ اعتبر اجتماع الأمة على مبايعته إتماماً للحجة عليه بالرغم من عدم رغبته الباطنية في تسلم أمور الخلافة.

٧. إن الجوانب الأيديولوجية والسيكولوجية للخطاب الحسيني قد تغيرت بعد يأس الامام عليه السلام من مناصرة الكوفيين له، وبعد أن أطلع على اوضاع الكوفة عن قرب وعلم باستشهاد سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام، وقيس بن مسهر، وعبد الله بن يقطر وغيرهم الكثير أخذ يردد الآية الكريمة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب ٢٣]، حيث تحول الخطاب الحسيني الى خطاب الحماسة وشد العزم وخاصةً بعد أن واجه جيش الحر بن يزيد الرياحي وقادته.

٨. إن حسن الظن والثقة وتقدير الموقف لدى الامام الحسين عليه السلام بأهل الكوفة كان يشوبه الحذر مقابل ذلك كانت المواقف لدى الكوفيين سليمة في بادئ الأمر، لكن تغير الأوضاع الفجائية هناك والتي لم يكن بالإمكان التنبؤ بها بالقنوات العادية والسبل الطبيعية كان هو السبب في وقوع الهزيمة، حيث سبب خطأ رماة الجبل تلك الهزيمة المعروفة، وحتى الإمام عليه السلام في رده على الفرزدق كان يقول ((**إننا نشكر الله أن جاءت النتائج وفق مرادنا، ولكن وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعدَ** [يعتد] **من كان الحق نيته والتقوى سريرته**)) وايضاَ مقولته عليه السلام ((**إن لك درجةً عند الله لن تنالها إلا بالشهادة**)) علاوة على

ذلك فإن الامام عليه السلام ومن خلال البعد الآخر في شخصيته وهو البعد المعنوي للإمامة، أن يكون عارفاً بأنهُ سيحل بكربلاء في النهاية وسيستشهد هناك.

٩. إن مقتل الحسين عليه السلام كان صرخة مدوية تقضي مضاجع بني أمية وربما قضت عليهم في النهاية، حيث يعتقد المستشرق الألماني ماريين أن الأمام الحسين عليه السلام أراد بخروجه النصر الآجل الذي يأتي بعد الموت، فالحسين عليه السلام قد أدرك صعوبة النصر العاجل في حياته فآثر أن يستشهد لكي ينال النصر بعد وفاته[٣٨]. وبذلك فقد كان مقتل الامام الحسين عليه السلام من اقوى العوامل التي قوضت دعائم الدولة الأموية في الشرق.

التوصيات

انطلاقاً من كون البحث قد عني بمفردات مواضيعه بأهمية الخطاب والتحاور مع الآخر وافتراض أن المتحاور يمتلك ثقافة الحوار بغض النظر عن جنسيته ولونه وقوميته وطائفته كون العصر يشهد اندماج جميع البلدان في محيط متعدد الثقافات نتيجة للتداخل المتسارع للاقتصاديات وظهور وسائل الاتصال الحديثة وثورة المعلومات وفي الوقت الذي يخيل الينا فيه أن العالم يتجه نحو التقارب تبرز الينا حزمة من التناقضات والاختلافات القومية والأثنية والطائفية والدينية، وهذه التناقضات تمتد لتشمل العلاقات بين الجماعات الثقافية المختلفة داخل الدولة الواحدة، ولكي يستطيع تحقيق تعايش وممارسة ديمقراطية سليمة وتفاعل خصب عليه أن يشيع قيم التسامح على المستوى المحلي والوطني.

لذلك يتقدم الباحث ببعض التوصيات التي تتحرر فيها ثقافة التسامح وفهم الآخر، وهي واردة ومسموعة ومقروءة وليس انتاجاً فكرياً ما بعدهُ انتاج ولكن

طبيعة المرحلة التي يمر بها بلدنا الحبيب تتطلب منا دائماً أن نواكب الحدث ونتصدى بالدراسة والبحث لتحليل المواقف كل حسب تخصصه لعل ذلك يخدم في البناء الفكري السليم وروح المواطنة للفرد العراقي الكريم.

١. يؤدي مفهوم التسامح دوراً أساسياً في المناقشات المعاصرة حول مشكلات المجتمع متعدد الثقافات، وتتعدد معاني هذا المصطلح، فهو عند بعضهم حالة مرغوبة من الاحترام أو الإدراك المتبادل، في حين هو عند بعض آخر يمثل علاقة براجماتية على افضل تقدير، وعلاقة قمع وكبت على أسوأ تقدير، إلا أن الأطروحة الرئيسية التي يتضمنها هذا المفهوم أنهُ يعد فضيلة اخلاقية وقيمة للعدالة ومطلباً للرشد والعقل.

٢. تقوم قيمة التسامح على مبادئ اخلاقية معينة، هذه المبادئ تعتمد على عدم انتهاك البعد الانساني للآخرين، وتتطلب من الفرد احتراماً مطلقاً لاعتقاد الآخر حتى إذا لم يكن هناك مبادئ مشتركة بين هذا الفرد والآخر، وهذا هو الأساس الحقيقي للحقوق الانسانية، وهو أساس التسامح الحق الذي لا يرفض السعي الى الحقيقة والبحث عنها.

٣. إن من أهم ركائز بناء المجتمع السليم هو أن نبدأ ببناء الإنسان وبناء الانسان يبدأ بفهم الآخر والتحاور معه بغض النظر عن لونه وجنسيته وقوميته وطائفته.

٤. أصبحت النهضة الحسينية انموذجاً احتذت به ثورات التحرر في العالم ومثلاًأعلى في القيم السامية التي ثارت من اجلها.

---

١. نهج البلاغة، الحكمة (٤٣٥).

٢. السيد محمد علي الحلو، الظاهرة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ٢٠١١، ص٣١-٣٢.

٣. الشيخ أكرم بركات، برقية الامام الحسين عليه السلام، كلمتان تختصران الثورة، ط٢، بيروت، ٢٠١١، ص٥.

٤. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء، المعاونية الثقافية، الطبعة السادسة، ٢٠٠٩، ص ١٩.

٥. من هو الحسين، مركز الإشعاع الاسلامي للدراسات والبحوث الاسلامية .ISLAM4U COM

٦. وكيبيديا الموسوعة الحرة، الحسين بن علي، UP.WIKIPEDIA.ORG.WIKI

٧. السيد حسين آل بحر العلوم، الثورة الحسينية، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ج٢، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص٢٥٠.

٨. سميت بالخطبة البتراء لأن عبيد الله بن زياد لم يبتدئ بالحمد وذكر الله.

٩. د. عبد الكاظم محسن الياسري، الخطاب الحسيني في معركة الطف، دراسة لغوية وتحليل، (بحث منشور) قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، كربلاء، العراق، ٢٠٠٩، ص١٣.

١٠. د. عبد الكاظم محسن الياسري، نفس المصدر، ص ٧٣.

١١. د. عبد الكاظم محسن الياسري، المصدر السابق، ص ٧٦.

١٢. د. عبد الحسين كاظم الياسري، تأملات مهمة حول لقاء الامام الحسين عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي، العتبة الحسينية المقدسة، ٤/ ١١/ ٢٠١٤. موقع على الانترنيت.

١٣. KIERKE GEAReD 1813- 1855 مفكر ديني دانماركي، يؤيد المتشائمين الاجتماعيين، كان فردياً وعاطفياً وشخصية مريضة متألمة تشكو من كبت شديد.

١٤. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة الدكتور فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، ٢٠٠٥، ص ٢٥١.

١٥. كارل منهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، ترجمة عبد الجليل الطاهر، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٦٨، ص ٣٦٢ وما بعدها.

١٦. كارل منهايم، المصدر نفسه، ص ١٨٩.

١٧. ويكيبديا، الموسوعة الحرة، أهل البيت عليهم السلام. WIKIPEDIA AHLALBET.ARG.COM.

١٨. كارل منهايم، المصدر السابق، ص ١٩٣.

١٩. زهير الخويلدي، دلالات المتخيل الاجتماعي عند كاستورياديس، موقع على الانترنيت، رواق الفلسفة، الأربعاء ١٠ فبراير ٢٠١٠.

٢٠. جعفر البياتي، العفو، مجمع البحوث الاسلامية، ط١، مشهد، ايران ١٤٢٧هـ ١٣٨٥ش، ص١٥، كذلك ينظر نهج البلاغة، الحكمة ٧٣.
٢١. أشرف عبد الوهاب، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط١، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٥، ص ٩٣.
٢٢. Giddens A. sociology (fourth edition. Cambridge. polity press. 2002.p.47.
٢٣. السيد علي الحسيني الصدر، أخلاق أهل البيت، ط١، منشورات دليل، قم، ايران، ١٤٣٢هـ ق – ١٣٨٩ش، ص ١٣٧.
٢٤. Giddiens A. p. 240 4-.
٢٥. Voget.w. paul. tolerance and Education ; learning with diversity and difference. sage publication. london. 1997.p.1.
٢٦. اشرف عبد الوهاب، مصدر سبق ذكره، ص٨.
٢٧. د. عبد الجبار الرفاعي وآخرون، التسامح ليس منه او هبة، دار الهادي، ط١، بيروت ٢٠٠٦، ص١٢.
٢٨. حسين درويش العادلي، المواطنة، دار المرتضى، ط٢، بغداد – العراق ٢٠٠٦، ص١٠٢.
٢٩. حسين درويش العادلي، ص١٠٣.
٣٠. حسين درويش العادلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧.
٣١. الشيخ ياسين حسين عيسى العاملي، أصول التعايش مع الآخر، دار الهادي للطباعة، ط٢، ٢٠٠٨، ص٩٠.
٣٢. نهج البلاغة، ص٧٠٢.
٣٣. د. غسان السعد، حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام، رؤية علمية، العتبة الحسينية المقدسة، ط٢، النجف الأشرف، ٢٠١٠،ص ٦٥.
٣٤. د. مرتضى مطهري، الملحمة الحسنية، محاضرات ومجالس ودروس...، دار المرتضى، لبنان، – بيروت ٢٠٠٩، ص ١١٦.
٣٥. د. مرتضى مطهري، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٨.
٣٦. د. مرتضى مطهري، نفس المصدر، ص ٢٩٢.
٣٧. د. مرتضى مطهري، مصدر سابق، ص٦١٩.
٣٨. د. علي الوردي، وعاظ السلاطين، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٥، ص٢٢٥.

المصادر والمراجع

١. أكرم بركات، برقية الأمام الحسين عليه السلام، كلمتان تختصران الثورة، ط٢، بيروت ٢٠١١.

٢. انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة الدكتور فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، ٢٠٠٥.

٣. جعفر البياتي، العفو، مجمع البحوث الاسلامية، ط١، مشهد، ايران، ١٤٢٧هـ ق - ١٣٨٥ ش.

٤. حسين بحر العلوم، الثورة الحسينية، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ج٢، بيروت (ب،ت).

٥. حسين درويش العادلي، المواطنة، دار المرتضى، ط٢، بغداد، العراق ٢٠٠٦.

٦. عبد الجبار الرفاعي وآخرون، التسامح ليس منه أو هبة، دار الهادي، ط١، بيروت ٢٠٠٦.

٧. علي الحسيني الصدر، أخلاق أهل البيت، ط١، منشورات دليل، قم، ايران ١٤٣٢هـ ق - ١٣٨٩ ش.

٨. علي الوردي، وعاظ السلاطين، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٥٥.

٩. غسان السعد، حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام، العتبة العلوية المقدسة، ط٢، النجف الأشرف ٢٠١٠.

١٠. كارل منهاين، الأيدلوجية واليوتوبية ترجمة عبد الجليل الطاهر مطبعة الأرشاد، بغداد ١٩٦٨.

١١. محمد علي الحلو، الظاهرة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ٢٠١٠.

١٢. مرتضى مطهري، اللحمة الحسينية، محاضرات ومجالس ودروس، دار المرتضى، لبنان، بيروت، ٢٠٠٩.

١٣. ياسين حسين عيسى العاملي أصول التعايش مع الآخر، دار الهادي، ط٢، ٢٠٠٨.

١٤. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام. أعلام الهداية، الإمام الحسين عليه السلام، ج٥، ط٦، لبنان ٢٠٠٩.

١٥. أشرف عبد الوهاب، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير، ط١، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٥.

١٦. عبد الكاظم محسن الياسري، الخطاب الحسيني في معركة الطف، دراسة لغوية وتحليل (رسالة منشورة) قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، كربلاء، العراق ٢٠٠٩.

١٧. مركز الاشعاع الاسلامي للدراسات البحوث الاسلامية Islamdu. Com

١٨. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الحسين بن علي ap. Wikipedia. Ary.wiki

١٩. عبد المحسن كاظم الياسري، تأملات حول لقاء الامام الحسين عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي، العتبة الحسينية المقدسة ٤/ ١١/ ٢٠١٤ موقع على الأنترنيت.

20. Giddens A. sociology (fourth edition. Cambridge. polity press. p.47.2002

21. Education ;. tolerance and learning with diversity and difference. sage publication. london.1997.p.1